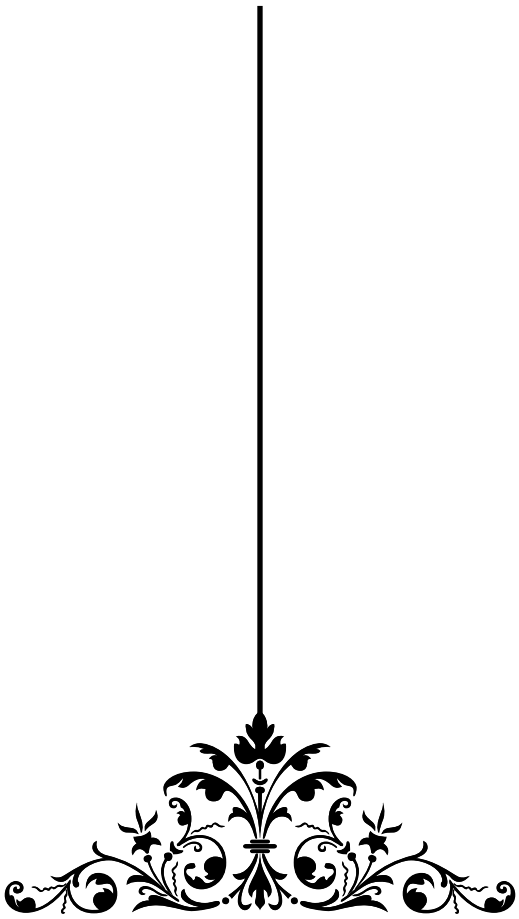

تقديم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَشرفُ الصَّلاةِ وأَتمُّ التَّسليمِ على النَّبيِّ المُصطَفى مُحَمَّدٍ بن عبدِ اللهِ وآله الطَّيبينَ الطَّاهرينَ وأَصحابِهِ المُنتَجَبينَ.

وبعد..

هذا الكتابُ يُمثِّلُ محاولةً جادَّةً ورائدةً في بابِها، وانعطافةً مهمَّةً في حَقلِ الدِّراساتِ المُختصَّةِ بالقرآن الكريمِ من جَانبٍ معرفيٍّ كثيرًا ما يحدث إشكالًا في التطرُّقِ إليه، والخوض في تلابيبه، ونعني بذلك (الشِّعر)، الذي أَخذَ مساحةً كبيرةً من جهود المختصِّينَ قديمًا وحديثًا، تَمخَّضت عنها آراءٌ وأَفكارٌ فتحت أَبوابَ الاجتهادِ في الرُّؤى حولَ العلاقة بين الشِّعر والقرآن.

ولسنا هنا بصددِ البحثِ عن تلك الأَفكارِ والآراءِ وعَرضِها أَو نَقدها، إنَّما نقفُ أَمامَ منجزٍ تجاوزَ السَّائد ليُحَقِقَ ريادةً في عَملِهِ، مع الإيمانِ المُطلَقِ لمؤلِّفه الفاضل العلَّامة السَّيد هادي كمال الدِّين الحِلِّيّ: بأَنَّ القرآنَ الكريمَ مُعجزٌ بقوَّةِ انسجامِهِ وتأليفِهِ وروعَةِ بيانِهِ، وكان ويبقى مُتحدِّيًا لفصَحاءِ العربِ وأَهل البلاغةِ، كونهُ ليس شعرًا؛ لافتقار عُنصُرَي الخَيالِ والموسيقى، وهما رُكنانِ من مقوِّماتِ الشِّعر، وماجاءَ فيه من كلامٍ موزونٍ إنَّما هو غيرُ مقصودٍ لذاتِهِ، بل وَرَدَ عَرضيًّا، عَفويًّا مِنْ دونَ قَصدٍ.

لذا عمدَ المؤلفُ رحمه الله الى استخراج الآياتِ الموزونةِ، وتبويبها وتنظيمِها بحسبَ بحورِ الشِّعرِ العربيِّ، وشَرحَ ما يحتاجُ الى شَرحٍ وتفسيرٍ، وكان جهدُهُ لا ينصبُّ على العروضِ وحده، بل تعدَّى الى التفسيرِ والبلاغةِ والتاريخ والنَّقدِ وغيرها منَ المَعارف، وهو جُهدٌ يندرُ وجودُهُ في التَّصانيفِ، ولم يسبقْ لأَحدٍ مِنْ قبلُ أَنْ صَنَّفَ مثل هذا الجُهد.

ولأَهميَّة هذا المؤلَّف، نهدَ الباحثُ والمحقِّقُ الدكتور سَعدُ الحدَّاد في تحقيقِ هذا السِّفرِ المَاتعِ؛ ليكون إضافةً مباركةً للمكتبةِ العربيَّة والإسلاميَّة، وحِرصًا منَّا في مركز العلَّامةِ الحِلِّيّ على إحياءِ التراثِ الحِلِّيّ وإخراجه الى حيِّز النُّور، آثرنا إصدارَ الكتابِ ضمنَ سلسلةِ (اثار السيد هادي السيد حمد كمال الدين الحلي)؛ ليكون بين يدي الإخوةِ القُرَّاءِ والباحثين ليستفيدوا من معارفه.

ومن اللهِ التوفيق.

مركز العلامة الحلي قدس سره

لإحياء تراث حوزة الحِلَّة العلميَّة

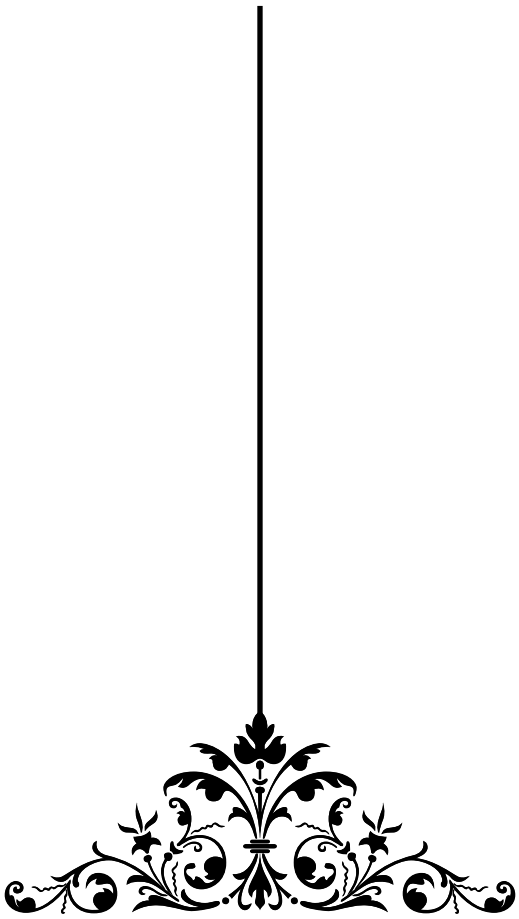

المقدمة

المقدِّمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشرَفِ المُرسلينَ أَبي القاسِمِ مُحَمَّدٍ وآلِهِ الطَّيبينَ الطَّاهرينَ وصَحبِهِ الغُرِّ المُنتجَبينَ.

ماكانَ لِلمُؤَلِّفِ أَنْ يَنْهَدَ في تَأليفِ هذا السِّفرِ إلَّا لبيانِ قُوَّةِ الانْسِجامِ في كَلامِ الْقُرْآن، الذي يكونُ في عُرْفِ العُلماءِ والبُلَغاءِ موزونًا بِلا قَصْدٍ. فَراحَ المُؤَلِّفُ يستخرجُ عَروضيًّا جميعَ ماوردَ من آياتٍ قرآنيَّةٍ تقعُ ضِمْنَ دائرةِ العَروضِ الخَليليِّ بتَمامِها أَو مَجزوءةٍ أَو مَشطورةٍ أَو مَنهوكَةٍ.

ورُبَّ سائلٍ يَسأَلُ، وهل مابَقِيَ من آياتٍ كريمَةٍ غيرِ موزونةٍ لاتتمثَّلُ فيها قوَّةُ الانسجامِ؟ والجوابُ قَطعًا أَنَّ الْقُرْآن الكريمَ منزَّلٌ، وكلامَهُ مُعجزٌ، وهو ليسَ كتابَ شعرٍ، ولاينبغي له أَنْ يكونَ كذلكَ بدلالاتٍ كثيرةٍ،وهذا يخالفُ طبيعةَ النَّظمِ الْقُرْآنيِّ. فالنَّبيُّ ﷺ ليس بشاعرٍ بصريحِ قولِ الْقُرْآنِ، ونَفي صِفَةِ الشَّاعريَّةِ عنه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾[1]، ونَفي شُبْهَةِ ما نَسَبَهُ إليهِ المُشركونَ بأَنَّه شاعرٌ ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾[2]،

(١) سورة يس: ٦٩.

(٢) سورة الصافات: ٣٦.

وكان ردُّ الْقُرْآنِ جليًّا على ذاكَ بالنَّصِّ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾[١]؛ فالنَّبيُّ ﷺ لمْ يَكنْ شاعرًا على وفقِ المَفهومِ القرآنِيِّ؛ لكنَّهُ كانَ يمدحُ الشُّعراءَ، ويدعو لهم ويُثيبُهم عليه، كونَ الشِّعرِ تسخيرًا للطاقاتِ الإبداعيَّةِ ضدَّ أَعداءِ الإسلامِ، ورسالةً عظيمةً في نَشرِ مَبادئِهِ السَّاميةِ.

وربَّ قائلٍ يَقول: إِنَّ الْقُرْآنَ ذَمَّ الشّعرَ!، وذَمُّ الشِّعرِ هُنا ليسَ لِذاتِ الشعرِ، إنَّما لبعضِ أَغراضِهِ وجَوهرِ مَراميهِ؛ لِتَعارُضِ العَقلِ والصِّدقِ معَ التَّخييلِ والكَذِبِ حينَ قررَ الْقُرْآنُ: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[٢]، لكنْ معَ الاستثناءِ المُؤيَّدِ بقولِهِ تَعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾[٣]. وممَّا يؤثَرُ عنه ﷺ أَنَّه قالَ: «**إِنَّما الشِّعرُ كلامٌ مؤلَّفٌ، فما وافقَ الحقَّ منه فهو حَسنٌ، وما لم يوافقِ الحقَّ منهُ فلا خيرَ فيهِ**»[٤].

إذنْ، فالنَّفي القاطعُ بوجودِ الشِّعرِ في الْقُرْآن المجيدِ، هو تَنْزيهٌ مُطْلَقٌ، ولو كانَ الْقُرْآنُ شِعراً لكانَ الفُصَحاءُ أَوَّلَ المُبادرينَ الى مُعَارضتِهِ كما يَرَى الباقلَّانيّ: «لأَنَّ الشِّعرَ مُسَخَّرٌ لَهُمْ مُسَهَّلٌ عَليهم، ولَهُم فيهِ من التَّصرُّفِ العَجيبِ، والاقتدارِ اللطيفِ، فلمَّا لم نَرَهُم اشتَغَلوا بذلك، ولا عوَّلوا عليه، عُلِمَ أَنَّهم لم يَعتَقِدوا فِيهِ شَيْئًا ممَّا يقدِّرُهُ الضُّعَفاءِ في الصَّنعةِ»[٥].

---

(١) سورة الحاقَّة: ٤١.

(٢) سورة الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦.

(٣) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١/ ٢٧.

(٥) إعجاز القرآن: ١/ ٥٢.

وقرَّرَ الباقلَّانيُّ بعدَ نقاشٍ مُستَفيضٍ: «أَنَّ الْقُرْآن خارجٌ عنِ الوزنِ... وتَتِمُّ فائدتُهُ بالخروجِ منه. وأَمَّا الكلامُ المَوزونُ فإنَّ فائدتَهُ تَتِمُّ بوزنِهِ»[1].

«وَمَا وُجِدَ فِي الْقُرْآن مِمَّا صُورَتُهُ صُورَةُ الْـمَزُونِ، فَالجَوَابُ عَنْهُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يُسَمَّى شِعْرًا لِأَنَّ شَرْطَ الشِّعْرِ القَصْدُ، وَلَوْ كَانَ شِعْرًا لَكَانَ كُلُّ مَنِ اتَّفَقَ لَهُ فِي كَلَامِهِ شَيْءٌ مَوْزُونٌ شَاعِرًا، فَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ شُعَرَاءَ، لِأَنَّهُ قَلَّ أَنْ يَخْلُوَ كَلَامُ أَحَدٍ عَنْ ذَلِكَ وَقَدْ وَرَدَ ذَلِكَ على أَلسنةِ الْفُصَحَاءِ فَلَوِ اعْتَقَدُوهُ شِعْرًا لَبَادَرُوا إِلَى مُعَارَضَتِهِ وَالطَّعْنِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى ذَلِكَ وإِنَّما يقع ذلكَ لبلوغِ الكلامِ الغَايَةَ القُصْوَى فِي الِانْسِجَامِ، وَقِيلَ البيتُ الوَاحِدُ وَمَا كَانَ عَلَى وَزْنِهِ لَا يُسَمَّى شِعْرًا، وَأَقَلُّ الشِّعْرِ بَيْتَانِ فَصَاعِدًا، وَقِيلَ الرَّجَزُ لَا يُسَمَّى شِعْرًا أَصْلًا، وَقِيلَ أَقَلُّ مَا يَكُونُ مِنَ الرَّجَزِ شِعْرًا أَرْبَعَةُ أَبْيَاتٍ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآن بِحَالٍ»[2].

ويَبقَى الانْسِجَامُ هُوَ القُوَّةَ الفَاعِلَةَ فِي كَلامِ الْقُرْآنِ كَمَا وَصَفَهُ السيُوطِيُّ في قَولِهِ: «هو أَنْ يكونَ الكَلامُ لِخُلوِّهِ مِن العَقَادَةِ مُنْحَدِرًا كَتَحَدُّرِ المَاءِ الْمُنْسَجِمِ،وَيَكَادُ لِسُهُولَةِ تَرْكِيبِهِ وَعُذُوبَةِ أَلفَاظِهِ أَنْ يَسِيلَ رِقَّةً، وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ كَذَلِكَ»[3].

وتَمَاشيًا معَ رأي البَديعيِّينَ إِذَا قَوِيَ الانْسِجامُ فِي النَّثرِ جاءتْ قراءتُهُ مَوزونةً بلا قَصْدٍ لقوَّةِ انسجامه، مُسْتَدِلِّينَ على ماذَهبوا إليه بالاسْتِشهادِ بآياتٍ كريمةٍ لكلِّ بحرٍ من بُحورِ الشِّعرِ، وَهُمْ إِنَّما حَصَروا الانْسِجامَ بالشِّعر. فَقَد أَوْرَدوا مِنْ ذَلِكَ مَا وَقَعَ فِي الْقُرْآن مَوْزُونًا فَمِنْهُ:

(١) إعجاز القرآن: ١/ ٥٤.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ٤/ ٢٢.

(٣) المصدر نفسه: ٣/ ٢٩٦.

مِنْ بَحْرِ الطَّوِيلِ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[١]

وَمِنَ الْـمَدِيدِ: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[٢].

وَمِنَ الْبَسِيطِ: ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ﴾[٣].

وَمِنَ الْوَافِرِ: ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾[٤].

وَمِنَ الْكَامِلِ: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٥].

وَمِنَ الْهَزَجِ: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾[٦].

وَمِنَ الرَّجَزِ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[٧].

وَمِنَ الرَّمَلِ: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾[٨].

وَمِنَ السَّرِيعِ: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾[٩].

وَمِنَ الْـمُنْسَرِحِ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾[١٠].

وَمِنَ الْخَفِيفِ: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[١١].

---

(١) سورة الكهف: ٢٩.

(٢) سورة هود: ٣٧.

(٣) سورة الأحقاف: ٢٥.

(٤) سورة التوبة: ١٤.

(٥) سورة النور: ٤٦.

(٦) سورة يوسف: ٩٣.

(٧) سورة الإنسان: ١٤.

(٨) سورة سبأ: ١٣.

(٩) سورة البقرة: ٢٥٩.

(١٠) سورة الإنسان: ٢.

(١١) سورة النساء: ٧٨.

وَمِنَ الْـمُضَارِعِ: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾[١].

وَمِنَ الْـمُقْتَضَبِ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[٢].

وَمِنَ الْـمُجْتَثِّ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٣].

وَمِنَ الْـمُتَقَارِبِ: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[٤] [٥].

****

إنَّ السَّيِّدَ هادِي كَمال الدِّينِ، وهو الضَّليعُ في علومٍ ومعارفَ عديدةٍ، والحريصُ على لغةِ العَربِ وبيانِها وفنونِها وعلومِها، والعَروضيُّ الشَّاعرُ المُدافعُ عن شِعرها، والرَّافضُ لكلِّ الأَجناسِ الغريبةِ الوافدةِ الى جَسدِ الشِّعرِ العربيِّ، ومُؤلَّفاتُهُ ومَواقِفُهُ شاهدةٌ على ماتقدَّمَ، وأَنَّ اهتمامَهُ بالشِّعرِ في الْقُرْآنِ الكريم تولَّدَ معهُ منذُ أَمَدٍ بعيدٍ من خلالِ منظوماتِهِ الشِّعريَّةِ و تَضمِيناتِهِ واقتباسَاتِهِ، فضلًا عن ايمانِهِ المُطلقِ بأَنَّ القُرْآنَ معجزٌ تحدَّى فصحاءَ العربِ وأَهلَ البلاغةِ والعَروضِ بقوةِ انسجامِهِ وتأَليفِهِ، وروعَةِ بيانِهِ، فجرتْ بعضُ آياتِهِ مَوزونَةً مُوافِقَةً لأَوزانِ الشِّعرِ العربيِّ، وهذا لايعني أَنَّهُ شِعرٌ لانعدامِ مقوماتِ الشِّعرِ وأَركانِهِ، وأَهمُّها الخَيالُ والموسيقى.

وإذا كانَ القُدَماءُ منَ الكُتَّابِ قد عَمِلوا على استخراجِ مجموعةٍ مِنَ الآياتِ القُرْآنيَّةِ كَما أَوردها الباقلَّانيّ في كتابِهِ إعجازِ الْقُرْآنِ، فالسَّيِّد المُؤلِّفُ قَدَّمَ عَطاءً

(١) سورة غافر: ٣٢-٣٣.

(٢) سورة البقرة: ١٠.

(٣) سورة الحجر: ٤٩.

(٤) سورة الأعراف: ١٨٣.

(٥) الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ٢٩٦-٢٩٧.

مُتَفرِّدًا في استيفاءِ الآياتِ الْقُرْآنيَّةِ الداخلةِ في هذا المِضمَارِ.

وأَشارَ السَّيِّدُ المُؤلِّفُ في مقدِّمَتِهِ إلى مُعاناتِهِ في تأليفِ كتابِهِ هذا؛ بمَا بَذَلَهُ مِن جهدٍ جَهيدٍ في تَتَبُّعِ الآياتِ الكريمَةِ في مظانِّها أَيَّامَ لم تَكنْ هناكَ، قبلَ أَكثرَ مِنْ نِصفِ قَرنٍ، برامجُ أَو أَنظمةٌ مُتَطورةٌ منَ العِلمِ في البحثِ والفهرسَةِ، فكانَ يَستَعيدُ قراءةَ الْقُرْآنِ كامِلًا مَرَّاتٍ عَديدةٍ لكي يَحصَلَ على مُبتغاهُ في الوصولِ إلى آيةٍ ما، يُرادُ معرفةُ رقمِها وسورتِها، وهو- لا شَكَّ- جهدٌ لايقدَّرُ بثمنٍ.

ولمْ يَقتَصِرْ هَذا الجُهْدُ على ما تَقدمَّ، بل زيَّنَ المُؤَلِّفُ الكِتابَ بعلومِ التَّفسيرِ واللغَةِ والتاريخِ والبلاغةِ والعَروضِ والنَّقدِ، فجاءَ الكِتابُ حَافلًا بالمَعارفِ، وناقدًا لكَثيرٍ من الحَالاتِ، ومُخالفًا ومُنَاقشًا لآراءِ مَنْ سَبَقَهُ منَ العُلماءِ والكُتَّابِ في مَظَانَّ كثيرةٍ من الكِتابِ.

وإذْ نَسأَلُ اللهَ العَلِيَّ القَديرَ أَنْ يَنفَعَنا بالاستِزَادَةِ مِنْ تِلكَ المَعَارفِ، ويلهِمَنا فَضيلَةَ التَّبحُّرِ في مَكنونَاتِ كِتَابِهِ العَظيمِ لنكونَ معَهُ كمَا قالَ سيِّدُ البُلَغَاءِ النَّبيُّ الكَريمُ ﷺ: «**إِنْ أَرَدْتُمْ عَيشَ السُّعَدَاءِ، ومَوتَ الشُّهَدَاءِ، والنَّجَاةَ يومَ الحَسرَةِ، والظِّلَّ يومَ الحَرُورِ، والْهُدَى يومَ الضَّلَالَةِ، فَادْرُسُوا القُرآنَ، فإنَّه كَلَامُ الرَّحمنِ، وحِرْزٌ مِن الشَّيْطَانِ، ورجَحَانٌ فِي المِيزَان**»[1].

ولابدَّ من تقديم وافر الشُّكر والثناءِ لأَخي العزيز الشَّيخ عقيل الكفلي المشرف على مركز العلَّامة الحلِّي والأخوة الأَعزاء العاملينَ معه، لما بذلوهُ من جهودٍ طيّبةٍ في اخراج ونَشر هذا الكتاب.

وآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِين.

---

(١) مستدرك الوسائل: ٤/ ٢٣٢، كنز العمال: ١/ ٥٤٥، ح٢٤٣٩.